

«نظرية التفاحة المتعفنة» والمظلمة العنصرية.. مغالطات تاريخية

هل يمكن جبر المظالم التاريخية وإنصاف الضحايا



كيف يمكن محاكمة الماضي

مثل قاعدة للاستغلال الاقتصادي ما بعد إلغاء العبودية.

إذا كانت العدالة الإصلاحية، التي تقوم على منطق سببي، فردي وقضائي، لا تناسب جبر المظالم البنيوية أساسا، فإن ثمة من ينصح باعتماد عدالة توزيع أساسها تنظيم المؤسسات الاجتماعية وتعديل سيرها، لكونها الضامن لمبدأ الحماية الاجتماعية لمن يجد نفسه في وضع المحتاج بسبب صروف الدهر، وهي التي يمكن أن يساهم تطبيقها على المظالم التاريخية في الحد من التفاوت الاجتماعي والاقتصادي الذي يعاني منه الأفراد المعترضون.

ولكن ذلك لا يعني عن الاستحقاق الأخلاقي، لا المالي، لأن التعويض المالي سوف يلغي جينياوجيا تلك البنى العنصرية، في حين أن الاستحقاق الأخلاقي يخص الإنصاف لجبر مخلفات العلاقات العنصرية التي دمّرت قرون من الإساءة والعنف والغضب والانتزاع.

تقول بيسون "ينبغي أن نقرأ في مطالب الإنصاف طلب اعتراف قائم على الاحترام والثقة، ووضع الماضي في الحسبان لإعادة الحقيقة إلى نصابها".

وماغالي بيسون هي أول مفكرة تصدع بمثل هذه الحقائق، وتبين بالأدلة والقرائن كيف أن الإصلاحات التشريعية والمؤسسية التي أجريت داخل فرنسا وفي مستعمراتها بعد إلغاء العبودية كانت تصوب وضع العبيد حسب القانون الجديد، ولكنها ترفق ذلك بإجراءات تهدف إلى تكريس أولوية البيض على أفراد الجماعات المعنصرة.

فقد سنّت مثلا عام 1848 قانونا يمكن البيض من تعويض عن ممتلكاتهم، أي عن عبيدهم، ولا يزال موجودا حتى اليوم في المدونة التشريعية الفرنسية.

وفي رايها أن تلك القوانين شكلت قاعدة للاستغلال الاقتصادي لمرحلة ما بعد إلغاء العبودية، وساهمت في إنزال الأفراد المعنصرين إلى دجات سفلى في سوق الشغل، أو تصنيفهم في منطقة دنيا لاستغلالهم على هامش المجتمع، أي أن ثمة تواصل في المعايير العنصرية

والاقتصادية والاجتماعية الفرنسية لم تسمح بالتوسع الكولونيالي واستعباد ملايين البشر فحسب، بل ما زالت حتى يومنا هذا تنتج مظالم عنصرية.

وخلافا للفكرة الراجحة، لاسيما في دروس الفلسفة التي تمخّذ الأنوار فيريد السياسيين والمثقفين من ورائهم ذلك التمجيد، لم تكن العبودية وتجارة الرقيق "حالة شاذة" أو

مفارقة تاريخية تخالف قيم الجمهورية ومثلها العليا، بل إنها ولدت معها، ونظر لها وسوّغها كبار فلاسفتها، وازدادت حدّة في الفترة المتأخمة لاندلاع الثورة. وفي رايها أن من الواجب مواصلة "عمل التاريخ" أي نقض الغبار عن المصادر والأرشيف والشهادات التي ظلت مهملّة، وإحلام أصوات أخرى في الجدل حول طبيعة الجمهورية، لإعادة كتابة السردية التاريخية التي أقرتها، على أن تضاف إليها فصول كاملة أقل مجدا وافتخارا دون ريب.

واعتبرت أمانة ازورقان مسؤولة البرمجة على مستوى المؤسسة المذكورة أن هذا الموضوع عرف استحسانا من قبل المساهمين في إنجازها من المبدعين الذين قبلوا بصدر رحب مشاركة القراء أحاسيسهم وأحلامهم بكل صدق وشفافية. وتنوعت الأصناف الأدبية التي تضمنها الكتاب بين الرواية والقصة والشعر وكذا الشهادات، وهي لمرّة 14 كتابا ينتمون إلى أفاق مختلفة.

تلك البنى تمس المؤسسات الاجتماعية كالنظامين الصحي والتربوي، مثلما تمس المؤسسات القضائية والتشريعية كالقوانين والمنظومة الإصلاحية، وكذلك المؤسسات الاقتصادية كالنظام الرأسمالي ما بعد التصنيع الشامل وسوق الشغل.

الاستحقاق الأخلاقي

بصر المعترضون على أن كل الجرائم السابقة هي من مخلفات الماضي، وأن الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي حرمت منها تلك المجموعات لم يعد لها اليوم مكان، وأن المظالم الحقيقية الوحيدة اليوم هي بفعل أفراد سيئي الطوية، وهم الذين ينبغي محاسبتهم ومعاقتهم وليس المنظومة.

إن إسقاط "نظرية التفاحة المتعفنة" هذه على المظلمة العنصرية يحتوي على مغالطات توقفت عندها الكاتبة لتفكك عناصرها، حيث تناولت الفترة الممتدة من تاريخ إلغاء العبودية عام 1848 إلى استقلال البلدان التي كانت مستعمرة، لتبين أن البنى القضائية

كثير الحديث في الأعوام الأخيرة عن رهانات العدالة التصالحية في بلدان غربية كثيرة، وازداد حدّة بعد مقتل المواطن الأميركي الأسود جورج فلويد، حيث شنت حملات لإزالة الأصنام التاريخية، وتعلت الأصوات تدعو إلى مراجعة كتب التاريخ المدرسية، وتنتقد غياب الملونين عن الإنتاج الفني، وتطالب بإرجاع القطع الأثرية إلى بلدانها الأصلية. ولكن هل سيغير كل ذلك نظرة البيض إلى الأقليات وفي سلوكهم وخطابهم ما يدل على أنهم لم يصفوا تركة المرحلة الكولونيالية، وما خلفته في السلوك والأذهان؟ وكيف السبيل إلى إنصاف من قضوا نحبهم منذ عشرات السنين؟

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

تختلف الآراء حول مراجعة التاريخ بهدف إنصاف المظلومين، شعوبا وقبائل. ثمة من يقول إن تلك الماسي، كالاسترقاق والاستعمار وما تلاهما من قتل وتكبير وتهجير، بانست في عداد الماضي، ولا جدوى من إعادتها إلى الذكرة، وإن المؤرخين بها أولى.

وفي المقابل ثمة من يرى أن ذلك من أوكد واجباتنا اليوم، ليس لرد الاعتبار لمن تعرضوا لتلك المظالم، أو تكريم أرواحهم فحسب، وإنما أيضا لقطع الطريق على الذين لا تزال تلك الممارسات الشنيعة تتلبس بمخيلهم، تصنع معتقداتهم وتكرس سلوكهم الجائر تجاه الآخر، بل وتكيف حتى طرق تعامل المؤسسات العامة مع المتحدرين من الشعوب المغلوبة على أمرها.

ولكن بيسون ترى أن هذه الطريقة في صياغة سؤال المظالم تقود إلى عدم فهم طبيعتها، فبدل أن ننظر إليها كجرائم عفا عليها الزمن، ينبغي أن نتصورها كمظالم مستمرة تسيء إلى بنيان الجمهورية قانونيا وسياسيا واجتماعيا، وليس كعدالة جنح أو جنائيات، تلك التي تقوم على تحديد هوية الجاني ثم جبر الضرر بتغريمه أو سجنه، لأن مشكلة المظالم الماضية تطرح بشكل مغاير، إذ كيف يمكن نسبتها إلى من رحلوا، وكيف يمكن التعرف على من يستحق الإنصاف، والضحايا ماتوا منذ زمن بعيد ما يجعل التأكيد من روابطهم مع الخلف أمرا عسيرا؟

إن مقارنة هذه المسألة على هذا النحو تؤدي إلى سلسلة من المشاكل المستعصية، ومن ثم تعتقد بيسون أننا إذا ألقينا عن فهم المظلمة الماضية من منظور تشريعي فردي والنظر إليها من منظور بنيوي أمكننا التفكير في طريقة إصلاح وإنصاف مغايرة.

في رايها ليست الجريمة كما حدثت في الماضي هي التي ينبغي تسليط العقاب على مرتكبيها وإنصاف ضحيتها، بشكل أو بآخر، وإنما البنى المؤسسية الحالية، بما كرسته من تكريسه من مظاهر تفاوت عرقي ناجم عن تلك المظالم التاريخية، وما تمثله من امتداد لماض استعبادي وإمبريالي، واستعماري، هي التي ينبغي إصلاحها، بمساهمة كافة أفراد الشعب، دون تمييز.



تختلف الآراء حول مراجعة التاريخ بهدف إنصاف المظلومين، شعوبا وقبائل. ثمة من يقول إن تلك الماسي، كالاسترقاق والاستعمار وما تلاهما من قتل وتكبير وتهجير، بانست في عداد الماضي، ولا جدوى من إعادتها إلى الذكرة، وإن المؤرخين بها أولى.

وفي المقابل ثمة من يرى أن ذلك من أوكد واجباتنا اليوم، ليس لرد الاعتبار لمن تعرضوا لتلك المظالم، أو تكريم أرواحهم فحسب، وإنما أيضا لقطع الطريق على الذين لا تزال تلك الممارسات الشنيعة تتلبس بمخيلهم، تصنع معتقداتهم وتكرس سلوكهم الجائر تجاه الآخر، بل وتكيف حتى طرق تعامل المؤسسات العامة مع المتحدرين من الشعوب المغلوبة على أمرها.

ولكن بيسون ترى أن هذه الطريقة في صياغة سؤال المظالم تقود إلى عدم فهم طبيعتها، فبدل أن ننظر إليها كجرائم عفا عليها الزمن، ينبغي أن نتصورها كمظالم مستمرة تسيء إلى بنيان الجمهورية قانونيا وسياسيا واجتماعيا، وليس كعدالة جنح أو جنائيات، تلك التي تقوم على تحديد هوية الجاني ثم جبر الضرر بتغريمه أو سجنه، لأن مشكلة المظالم الماضية تطرح بشكل مغاير، إذ كيف يمكن نسبتها إلى من رحلوا، وكيف يمكن التعرف على من يستحق الإنصاف، والضحايا ماتوا منذ زمن بعيد ما يجعل التأكيد من روابطهم مع الخلف أمرا عسيرا؟

إن مقارنة هذه المسألة على هذا النحو تؤدي إلى سلسلة من المشاكل المستعصية، ومن ثم تعتقد بيسون أننا إذا ألقينا عن فهم المظلمة الماضية من منظور تشريعي فردي والنظر إليها من منظور بنيوي أمكننا التفكير في طريقة إصلاح وإنصاف مغايرة.

في رايها ليست الجريمة كما حدثت في الماضي هي التي ينبغي تسليط العقاب على مرتكبيها وإنصاف ضحيتها، بشكل أو بآخر، وإنما البنى المؤسسية الحالية، بما كرسته من تكريسه من مظاهر تفاوت عرقي ناجم عن تلك المظالم التاريخية، وما تمثله من امتداد لماض استعبادي وإمبريالي، واستعماري، هي التي ينبغي إصلاحها، بمساهمة كافة أفراد الشعب، دون تمييز.

إن إسقاط "نظرية التفاحة المتعفنة" هذه على المظلمة العنصرية يحتوي على مغالطات توقفت عندها الكاتبة لتفكك عناصرها، حيث تناولت الفترة الممتدة من تاريخ إلغاء العبودية عام 1848 إلى استقلال البلدان التي كانت مستعمرة، لتبين أن البنى القضائية

المظلمة الماضية

في كتاب "الإنصاف مّا يتعدّر إصلاحه: العبودية الكولونيالية والمسؤوليات المعاصرة"، تقترح المفكرة الفرنسية ماغالي بيسون إخراج التعويضات عن العبودية وتجارة الرقيق من الجدل لترحها كاشكالية، وترسم غاية مضاعفة لفهم تلك المطالب: توضيح أسباب عدم فهمها ومصادرها، وتوفير إطار تأويلي يسمح بتقييم مشروعيتها الأخلاقية.

علينا النظر إلى المظلمة الماضية لا من منظور تشريعي فردي بل من منظور بنيوي لإصلاحها وتحقيق الإنصاف

إذا فرضنا أن إصلاح الماضي مستحيل، فإن من الواجب أخذ مطالب العدالة بجد وتواضع، وفي رايها أن ذلك لا يكون إلا من خلال فهم أكبر لماهية

«حلمت بالجزائر».. كتاب جماعي يجمع أقلام الأدباء بأقلام من خارج الأدب

العمل بأشكال تعبيرية مختلفة، حيث جاءت المساهمات في شكل روايات خيالية وأخرى مستوحاة من الواقع ومن ذاتية أصحابها إلى جانب شهادات وقصص..

الكتاب ضم أصنافا أدبية متنوعة بين الرواية والقصة والشعر وكذا الشهادات، وهي ثمرّة 14 كاتباً من أفاق مختلفة

وأضافت هلال أن هؤلاء الكتاب "قدموا تصورهم للجزائر بكل صراحة رغم صعوبة الأمر، ورفعوا التحدي وتحذروا عن حلمهم بالجزائر من منطلقات مختلفة". معتبرة أنه رغم الاختلاف في تناول الموضوع إلا أنهم اشتركوا في تقديم عمل بلسم من الفكاكة بعيدا عن السوداوية.

وقالت إن "المواضيع متنوعة لم تحصر في النشاط النضالي ولا المطالب بل تم تناول عدة جوانب من الحياة، ولاإشارة فإن النسخ الحالية من الكتاب والتي عددها 1000 ستوزع مجاناً على مستوى مؤسسة فريدريش أيبيرت وأيضاً على عدة مكتبات جزائرية.

رحلة افتراضية 80 سنة في المستقبل بعد حراك 22 فيفري 2019، ونجدها أيضاً عند الروائية هاجر بالي التي حلمت بـ"تسيير رقماني وتشاركي" لكل مناحي الحياة في البلاد، بينما تحدث المهندس المعماري محمد العربي مرحوم في نصه عن أهمية إعادة تنشيط المحيط المعماري.

وتتجلى في "الأحلام" التي ساقها الكتاب مشاريع إيكولوجية -مثل "الجزائر الخضراء" ورقمية مثل "الدولة الذكية"- تحدث ثورة في حياة جزائري الغد، كما تعطي هذه الأحلام أهمية كبرى للوسط البيئي والغذاء النباتي وتنظيم وعصرية وسائل النقل الجماعي وازدهار الثقافة.

بأسلوب كتابي مختلف يقدم الكاتب شوقي عمري نوعاً من التقييم لمهنة الصحافي وما يجب أن تكون عليه هذه المهنة، في حين تطرقت عالمة الاجتماع خديجة بوسعيد إلى مجال البحث العلمي الذي تحلم بأن يلقي الاهتمام المستحق.

كما يسترجع المؤلفون في نصوصهم جانباً من خصوصيتهم دون إقحام أنفسهم في اقتراح خطة تنموية أو خارطة طريق. ومن جهتها أكدت الناشرة سلمى هلال صاحبة منشورات البرزخ أن الكتاب "استجابوا للطلب وساهموا في

ومن الأسماء المساهمة في العمل الكاتب والصحافي شوقي عمري والكاتبة والصحافية سارة حيدر والشاعرة والسينمائية حبيبة جحنين وكذلك المحللة النفسية بشرى فريدي. وهيمت في النصوص الروائية التي ضمها الكتاب الرغبة في تحقيق "حياة أفضل باستخدام وسائل تكنولوجية عصرية وتطوير المحيط"، ويتجلى ذلك خصوصاً عند الكاتبة سمير تومي، الذي يأخذ القارئ في



رؤى مثيرة للمستقبل (لوحة للفنان عادل بن تونسي)

ومشاركته مع جمهور عريض من القراء، ويبقى رهانها في الأخير تجاوز الطابع التجاري.

ظاهرة احتكار الكتب الجماعية وعدم إشراك الأدباء الشباب كسرهما كتاب جزائري جديد، حيث شهدت الجزائر أخيراً صدور كتاب جماعي جديد بعنوان "حلمت بالجزائر" بالفرنسية، ويضم عدداً من النصوص بقلم مجموعة من المبدعين المعروفين في الساحة الأدبية وشباب

في بداية الطريق ينتمون إلى أفاق مختلفة، منهم صحفيون ومحللون نفسيون ومختصون في البيئة ومعماريون وأيضاً طلبة ومواطنون عاديون.

تناول مؤلفو الكتاب، الذي هو أشبه بفسيفساء ثقافية، موضوع "الجزائر التي حلموا بها" كل من زاوية خاصة ومقاربة ذاتية في الطرح واختيار الموضوع الذي يعبر من خلاله المؤلف عن مفهومه لجزائر الغد. وجاءت فكرة هذا المؤلف الجديد، الصادر عن منشورات البرزخ بدعم من مؤسسة فريدريش أيبيرت، من ورشة كتابة مختلفة سرعة ما تحولت بسبب فايروس كورونا إلى مشروع كتاب بمشاركة أقلام متنوعة.

الجزائر - تعتبر الكتب ذات التأليف المشترك فرصة لعدد من المؤلفين العرب الشباب لتجاوز احتكار الإنتاج الثقافي واقتصاره على كبار الكتاب والمبدعين، الذين تهول إليهم دور النشر الكبرى وتتنافس فيما بينها من أجل أن تظفر بشرف النشر لأولئك الذين سطروا أسماءهم كابرز الكتاب وأكثرهم انتشاراً، لذا فقد صار الباب مفتوحاً على مصراعيه لاستيعاب الكتاب الجدد من جيل الشباب، والذين تمكنوا خلال فترة وجيزة من أن يجزوا لأنفسهم كذلك مساحة تسعهم لمزامنة كبار المبدعين في شتى المجالات.

وما ساهم في انتشار الكتب الجماعية أن الساحة الثقافية العربية صارت مفتوحة على هذا النحو لاستيعاب المزيد من الكتاب الجدد، وسط وجود قاعدة جماهيرية شغوفة بالإطلاع على كتابات جيل الشباب، وبانت الفرصة متاحة كذلك للبدعيين في عالم الإبداع والكتابة أيضاً.

ويمكن اعتبار الكتب الجماعية الملاذ الأمل وربما الملاذ الوحيد بالنسبة إلى الشباب، لطح إبداعهم